

وقد جمع في ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ حجة بارعة قارعة على لينها، دون أن تؤثر اللينة في قاطعية الحجة فتتقص عنها، ولا أن تؤثر الحجة في تحول اللينة إلى المساواة، وهذه هي الجدال بالتي هي أحسن، أن تزداد عنها مساوئها، وتزداد فيها محاسنها، فتصبح قاطعة على لينوتها، ولينة على قاطعيتها!.

ثم في هذه البداية لا يفرعان على ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ تَطْلُبُ الإيمان به من فورهما، وإنما أدنى ما يُتَطَلَّبُ من مربوب لربه أن يتخلى عن سلطته الظالمة على مستضعفي عبادة:

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا نُعَذِّبْهُمْ﴾ كان ذلك هو فقط مادة الرسالة إليه لا سواها، ولكي لا تأخذه العزة بالاثم والغيرة، فيأتي بمعرة فوق معرة.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ كإيجاب واحد في هذه الرسالة ﴿وَلَا نُعَذِّبْهُمْ﴾ كسلب واحد فيها، و﴿وَلَا نُعَذِّبْهُمْ﴾ بدل «لا تظلمهم» ليونة في التعبير، حيث الظلم يخص القبيح، والعذاب منه قبيح ومنه صحيح، ولأنهما يرأسان بني إسرائيل، فلو أنهم يستحقون العذاب فحوّل عذابهم إلينا وأرسلهم معنا، فلا لكم ولا عليكم أي شأن منهم شائناً أم سواه.

ولئن تطلب برهاناً على هذه الرسالة ف﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِثَآئِلَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ آية ذات دالتين، أولاهما أنه ربك، وثانيتها أنا رسولا ربك.

ولماذا «آية» وقد أوتي موسى تسع آيات حيث أرسل ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ (١)؟.

لأن الموقف هنا في مقام إثبات رسالتهم بآية إلهية، دون كمها وكيفها، وإن الآيات التسع هي كواحدة في أصل التدليل على صحة الربوبية والرسالة، فأيات الرسالات كلها تنحو منحى هدف واحد هو إثبات الرسالة الإلهية، على اختلاف صورها وسيرها.

(١) سورة النمل، الآية: ١٢.

وهنا بعد ثبوت الرسالة والألوهية - وهما الهدى الإلهية - بخط مصير كل من أهل الهدى والردى بمسيرهما :

﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ دون من عارضها، أم لا لها ولا عليها، فهلا تريد يا فرعون أن تكون من أهل السلام باتباع الهدى وترك الهوى .

ثم العذاب وأنت تعذب بني إسرائيل ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ كذب الهدى بعد إتيانها، وتولى عنه إلى غيرها، فهل أنهم كذبوا الهدى وتولوا عنها حتى يستحقوا عذابك؟ وهم موحدون مهتدون! .

أم أنت المكذب للهدى، المتولي عنها ولذلك تطغى، فاترك الطغوى إلى التقوى حتى يسلم السلام على من اتبع الهدى، وذلك تنديد بكل مكذب بحق متولٍ عنه أيًّا كان <sup>(١)</sup> .

نرى هنا في ذلك العرض الحكيم لتلك الرسالة السامية كل برهنة ساطعة قوية بكل ليونة، فلا ينسبان إلى الطاغية تكديماً للهدى وتولياً عنها واستحقاقاً للعذاب بصيغة صريحة، وإنما يوضحان أسباب الهدى والردى بمسيرهما ومصيرهما، وليعرف فرعون من هو من هذا البين ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾! فهنا ترغيب واستمالة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ فلعله منهم، يتلقى السلام باتباع الهدى، ثم تحديد وتحذير غير مباشرين كي لا يستثيرا كبرياءه أو

(١) نور الثقلين ٣: ٢٨١ في أصول الكافي بإسناده إلى عبد الله بن إبراهيم الجعفري قال: كتب أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إلى يحيى بن عبد الله بن الحسن: أما بعد فإني أحذرك ونفسي وأعدك أليم عذابه وشديد عقابه وتكامل نقماته وأوصيك ونفسي بتقوى الله فإنها زين الكلام وتثبيت النعم - إلى قوله - : أحذرك معصية الخليفة وأحثك على بره وطاعته وأن تطلب لنفسك أماناً قبل أن تأخذك الأظفار ويلزمك الخناق من كل مكان فتروح إلى النفس من كل مكان ولا تجده حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ورقة الخليفة أبقاه الله فيؤمنك ويرحمك ويحفظ فيك أرحام رسول الله ﷺ والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى .

يحطاه من علوائه: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١﴾ فلعله ليس ممن كذب وتولى.

ولماذا هنا ﴿رَسُولًا رَبِّكَ﴾ وفي سائر القرآن «رسول - أو - رسولا رب العالمين»<sup>(١)</sup>؟.

لأن الذي هو رب فرعون المدعي للألوهية أخرى أن يكون رباً للعالمين أجمعين، إذا فـ ﴿رَسُولًا رَبِّكَ﴾ صيغة أخرى عن «رسولا - أو - رسول رب العالمين» أم أنه قالهما بصيغة عامة لكافة المرسل إليهم وأخرى خاصة بفرعون رعاية لليونة التعبير.

هنا يمتنُّ فرعون على موسى أن رباه وليداً كأنه نعمة تمنعه عن هذه الرسالة جزاءً بها: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ﴿٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴿٢﴾.

فهنا نرى الطاغية يلوي شذقه متجاهلاً أن الله ربه، سائلاً موسى وهارون عن ربهما دون ربه ولما يعترف به.



(١) ففي الأعراف والزخرف ﴿وَلِكَيْ رُسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١] وفي الشعراء ﴿إِنَّا رُسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].  
(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٨-٢٣.

Σ, Σ

## الفهرس

الموضوع

الصفحة

### تتمة سورة الكهف

|     |                                     |
|-----|-------------------------------------|
| ٧   | سورة الكهف، الآيات: ٢٧ - ٣١         |
| ٢٤  | سورة الكهف، الآيات: ٣٢ - ٤٦         |
| ٤٢  | سورة الكهف، الآيات: ٤٧ - ٥٩         |
| ٦٧  | سورة الكهف، الآيات: ٦٠ - ٨٢         |
| ١٠٤ | سورة الكهف، الآيات: ٨٣ - ١٠٢        |
| ١١٧ | المركبة الفضائية الأولى لذي القرنين |
| ١٣٧ | أين ردم ذي القرنين؟                 |
| ١٣٩ | ومن يأجوج ومأجوج؟                   |
| ١٥٥ | سورة الكهف، الآيات: ١٠٣ - ١١٠       |

### سورة مريم

|     |                                |
|-----|--------------------------------|
| ١٧٥ | سورة مريم، الآيات: ١ - ١٥      |
| ٢٠٠ | زكريا ويحيى في القرآن والعهدين |

|                                      |     |
|--------------------------------------|-----|
| سورة مريم، الآيات: ١٦ - ٤٠           | ٢٠٣ |
| صححة الأناجيل خطر على قدسية المسيح ﷺ | ٢٣٢ |
| المسيح وأمه حسب الإنجيل              | ٢٣٤ |
| مريم في القرآن                       | ٢٣٦ |
| المسيح في القرآن                     | ٢٣٧ |
| «متى أرسل بالإنجيل وصار نبياً؟»      | ٢٤١ |
| سورة مريم، الآيات: ٤١ - ٥٠           | ٢٤٨ |
| سورة مريم، الآيات: ٥١ - ٥٧           | ٢٥٨ |
| سورة مريم، الآيات: ٥٨ - ٧٢           | ٢٦٤ |
| سورة مريم، الآيات: ٧٣ - ٨٠           | ٢٨٩ |
| سورة مريم، الآيات: ٨١ - ٩٨           | ٢٩٥ |

### سورة طه

|                          |     |
|--------------------------|-----|
| سورة طه، الآيات: ١ - ٣٦  | ٣٠٥ |
| سورة طه، الآيات: ٣٧ - ٤٨ | ٣٨٠ |